المقوم السادس
الثقة في الإسلام

والمراد الاطمئنان وما يتبع ذلك من تصديق وانقياد.

وهذه الكلمات هي ما ينبغي أن يستحضرها الداعي لدين الله ﷻ حين ارتضي لنفسه السير في طريق الدعوة.

فالثقة اطمئنان الداعية إلى المنهج الذي يدعو إليه، اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فلفظ الاستسلام يشيع في النفس السكينة والهدوء، لأنها اطمئنان عميق يُلاحق كل بذور القلق، ويدفع بقايا الشك في النفس فيدمغها، فلا يبقى في النفس إلا الاطمئنان والثقة.

وعلى قدر الثقة في المنهج تكون قوة الدعوة، وجودة خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب.

والثقة في المنهج الدعوي هي سبب نجاح الدعوة، ولهذا يجب أن يسأل الداعية نفسه هذه الأسئلة ليتعرف على مدى ثقته بمنهجه:

١- هل تعرّف إلى دين الإسلام كمال التعرف؟

٢- هل اطمأن إلى كفايته وكماله وشموله؟

٣- هل هو مستعد لاعتبار أوامر الله ورسوله قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد، ولا للانتقاص ولا للتحوير؟

٤- هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي المنهج الإسلامي الصواب المطلق إذا تعارض ما أَمر به الشارع الحكيم مع ما يعتقده أو ما هو منتشر في بيئته؟

٥- هل هو مستعد لأن يؤقلم ظروفه الحيوية مع ظروف الدعوة واحتياجاتها؟

٦- هل تتحكم الدعوة في حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة وأشباهها يستطيع الداعية أن يطمئن على مدى ثقته بالمنهج الإسلامي، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء.

فالثقة المطلوبة من الداعية لا بد أن تشمل:

١- **الثقة بالله تعالى:** وهي الإيمان القوي، والاعتقاد الجازم، واليقين الثابت، والاطمئنان القلبي بالله وحده، وبقدرته وقوته وعزته وحكمته، وأنه جل وعلا هو الحق وما عداه باطل، وأن هداه هو الهدى، وليس بعد الهدى إلا الضلال، وأنه لا ناصر إلا الله، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، وأنه من حفظ الله حفظه الله، ومن توكل عليه نصره، وأن كل ما يقدره سبحانه فهو الخير، وأن العاقبة للمتقين، وأنه لا عدوان إلا على الظالمين.

٢- **الثقة بالرسول ﷺ،** وبأوامره وأنه ما من خير إلا ودلنا عليه وما من شر إلا وحذرنا منه، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، به أكمل الله الدين وأتم الله به النعمة، ومن خلال قيم الاقتداء بالناجحين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٣- **الثقة في المنهاج:** فقد رسمه لنا رسول الله ﷺ، وقال: **(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)**[1]، وكلما اشتد الكيد والصد جدد السائرون العهد هاتفين بشعار الموقنين: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

فهو منهج من عند الله، ونحن نجزم بأنه الحق المبين على سبيل الإجمال والتعميم، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١].

---

(١) مسند أحمد ٢٨/ ٢٦٧ (١٧١٤٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن، سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩٣٧).

المقوم السابع
التجرد للحق

والمقصود أن يتجرد الداعية من كل ما سوى الله، وأن يستعين بالله وحده، وأن يضحي بكل ما يملك في سبيل الله، وأن يصبر على المكاره مهما بلغت.

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولذلك كان لزاماً أن يتجرد كل داعية لدعوته لله دون سواه، فيتجرد من أهوائه ومنافعه، ومن الأفكار الأخرى، ومن كل شيء؛ من أجل نصرة دين الله ونشره للعالمين.

فالتجرد قريب من الإخلاص ويزيد عليه أموراً هي:

١- أن لا يتعلق قلب الداعية بكل سبب مادي، وأن يتمسك بكل سبب رباني.

٢- أن يتهم الداعية نفسه باستمرار، ويعرضها في كل حادثة على القرآن والسنة؛ مخافة أن تضعف نفسه وتنحرف عن الخط الصحيح.

٣- أن يكون الداعية مستعداً لتقديم النفس وما يملك رخيصاً في سبيل الله.

فإن من أخطر عوامل سقوط الدعوات اختلاف غاياتها، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة الراغبين الحريصين على التزعم والقيادة، وكل ذلك من علامات ضعف التجرد للدعوة إلى الله.

فالدعوة دين الله وهي دعوة إلى الله؛ غايتها رضا الله، ووسائلها وأساليبها وفق سنن الله، ومنهجها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ترتكز على الإسلام عقيدة وشعيرة وشريعة، وتستمد منه، وله تجاهد، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل.

فالداعية المجرد لا يعدل بالإسلام نظاماً، ولا يرضى سواه إماماً، ولا يقدم عليه أي حكم آخر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إن الإسلام دعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

فالدعوة إلى الله طبيعتها الإخلاص لله والتجرد من كل شيء سوى الرغبة في تحقيق الهداية الخاصة والعامة، والتجرد في ذلك من كل شواغل وغايات الدنيا.

فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم الخير الكثير، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين، كما قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

فالداعي إلى الله دعوته نزيهة، قد تسامى في نزاهته حتى جاوز المطامع الشخصية، واحتقر المنافع المادية، وخلف وراءه الأهواء والأغراض، ومضى قدما في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:١٠٨].

والذي يدعو إلى الله لا يسأل الناس شيئاً، ولا يستزيد بهم وجاهة، ولا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً، شعاره: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، إنْ أجره في ذلك إلا على الله، كما أمر الله نبيه ﷺ أن يصدع بها في المدعوين: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

الفصل الثالث

أخلاق الدعاة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: أهمية الأخلاق في حياة الدعاة.

المبحث الثالث: جوامع الأخلاق التي تُؤهل الدعاة.

المبحث الرابع: تعريف بنماذج لأهم أخلاق الدعاة.

الخلق الأول: الصبر.

الخلق الثاني: الرحمة.

الخلق الثالث: الصدق.

الخلق الرابع: الأمانة.

الخلق الخامس: الرفق.

الخلق السادس: الحلم.

الخلق السابع: الشجاعة.

الخلق الثامن: العفة.

تمهيد

إن الأخلاق والقيم لا بد أن تكون جزءاً من شخصية الداعية ليكون داعياً إلى دين الله بحق، فلا من تربية الدعاة إلى الله عليها، وأن يغرسوها في شخصيتهم وذلك لسببين:

الأول: ليكون الداعيةُ صالحاً في نفسه؛ فينجو من العذاب وينال الثواب من الله تعالى في الدنيا والأخرة.

الثاني: أن أفضل وأسهل طرق الدعوة إلى الله وأشدها تأثيراً هو الدعوة من خلال القدوة الحسنة التي يلتزم فيها الداعية أخلاقيات وقيم الإسلام العامة.

ويتضح ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول
مفهوم الأخلاق

⌑ أولاً: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً:

الأخلاق في اللغة: جمع خُلُق، والخُلُق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلِق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء. يقال: فلان خليق بكذا أي: قادر عليه وجدير به، والخلاق: النصيب لأنه قد قُدِّر لكل أحد نصيبه[١].

والخَليقة: الطبيعة، والخِلْقة (بالكسر) الفطرة، والخُلُق: السّجية، وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلفه[٢].

والأخلاق اصطلاحاً: «غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار»[٣].

وقيل: «مجموعة القواعد السلوكية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه، يحتذيها الإنسان فكراً وسلوكا في مواجهة المشكلات الاجتماعية والمواقف الخلقية المختلفة بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم الاجتماعية السائدة»[٤].

وقد عرف بعض الباحثين الأخلاق في الإسلام بأنها عبارة عن: «مجموعة المبادىء والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه»[٥].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢١٤.

(٢) الصحاح ٤/ ١٤٧١.

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي ص ٥.

(٤) دراسة لبعض المشكلات التي تعوق الوظيفة الخلقية للمدرسة الثانوية، عبدالودود مكروم، رسالة ماجستير ص٢٢.

(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية، رسالة دكتوراة لمقداد يالجين ص ٧٥.

ثانياً: خصائص الأخلاق في الإسلام[١]:

للنظام الأخلاقي في الإسلام خصائص أهمها:

الأولى: الربانية من حيث المصدر والجزاء، فالمسلم يتعرف من الوحي -قرآن وسنة- على الخُلُق الحسن ليعمل به والخلق السيء لينتهي عنه، ويعلم أنه مثاب من الله على تخلقه بالخلق الحسن، وعدم تخلقه بالخلق السيء.

والثانية: مراعاة الطبيعة الإنسانية، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية.

الثالثة: الأخلاق والممارسة الإيمانية، فالأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية، ولا مصالح فردية، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فليست الأخلاق فضائل منفصلة، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقاً في إيمانه، يقول الرسول ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن)**[٢].

فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويّاً أثمر خُلُقاً قويّاً.

الرابعة: دوام الأخلاق وثباتها، فالأخلاق في الإسلام ليست لوناً من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوباً يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء، بل إنها ثوابت؛ شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان.

---

(١) ينظر: بحث بعنوان: خصائص الأخلاق في الإسلام منشور على موقع د. علوي سقاف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] (٥٥٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة (٥٧).

المبحث الثاني
أهمية الأخلاق في حياة الدعاة

يمكن بيان أهمية حسن الخلق في حياة الدعاة من خلال النقاط التالية:

- **أولاً: حسن الخلق سمة الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-:**

قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ومدح الله جميع المرسلين بحسن الخلق، فقد قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [الدخان:١٧] أي: «حَسَنُ الخلق»[١].

وكذلك أُمِر ﷺ بحسن الخلق قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال الشيخ السعدي: «هذه الآية الكريمة جامعة لمعاني حسن الخلق مع الناس، وما ينبغي للعبد سلوكه في معاملتهم ومعاشرتهم، فأمر تعالى بأخذ«العفو»: وهو ما سمحت به أنفسهم، وسهلت به أخلاقهم من الأعمال والأخلاق، بل يقبل ما سَهُلَ، ولا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، ولا ما لا يطيقونه، بل عليه أن يشكر من كل أحد ما قابله به من قولٍ وعملٍ وخلقٍ جميلٍ، وما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض طرفه عن نقصهم، وعما أتوا به وعاملوه به من النقص، ولا يتكبر على صغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف، وما تقتضيه الحال الحاضرة، وبما تنشرح له صدورهم، ويوقر الكبير، ويحنو على الصغير، ويجامل النظير»[٢].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٨٣ وعزاه إلى مقاتل.

(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي ص ١٢١.

- **ثانياً: صلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه:**

إن الأخلاق لها تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، فسلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، «فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى لا تتحرك إلا على وفقها؛ لا محالة»(١).

فصلاح أفعال الإنسان يكون بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع كما قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم؛ أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، فبدأ بالتزكية قبل التعليم في الوصفين.

وأكد الإسلام على صلاح النفوس، وبيَّن أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل؛ كل ذلك ونحوه تبعٌ لتغيير ما بأنفسهم من معانٍ وصفاتٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

- **ثالثاً: جعل النبي ﷺ الغاية من بعثته الدعوة للأخلاق:**

وهذا الأمر كان دعوة إبراهيم عليه السلام لأهل مكة حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٧.

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فاستجاب الله دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فبعث محمداً ﷺ، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ بقوله: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[١]، وفي رواية: **(صالح الأخلاق)**[٢].

«فالخُلق هو أبرز ما يراه الناسُ، ويُدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالناس لا يرون عقيدةَ الشخص؛ لأن محلَّها القلبُ، كما لا يرون كلَّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم سيُقيِّمون دِينَه بِناءً على تعامله، فيحكُمون على صحتِه من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد حدَّثَنا التاريخ أن الشرق الأقصى -ممثَّلاً اليوم في إندونسيا والفلبين وماليزيا وغيرها- لم يعتنقْ أهلُها الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاقِ التجَّار وسلوكِهم، وذلك لما تعاملوا معهم بالصدق والأمانة والعدل والسماحة، وكذا الحال في وسط أفريقيا وغربها وجنوبها، وأصقاع شتى من الأرض.. وإن مما يؤسَفُ له اليوم أن الوسيلةَ التي جذبت كثيراً من الناس إلى الإسلام هي نفسها التي غدَت تصرِفُ الناس عنه؛ وذلك لمَّا فسَدت الأخلاق والسلوك، فرأى الناس تبايناً -بل تناقضاً- بين الادِّعاء والواقع»[٣].

وحسن الخلق يكون مع كل الناس صغيرهم وكبيرهم، قال النبي ﷺ: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)**[٤].

---

(١) موطأ الإمام مالك ٢/ ٩٠٤(١٦٠٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٦٧٠ (٤٢٢١)، الأدب المفرد للبخاري ١/ ١٠٤(٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٨١ (٨٩٣٩) وعلق شعيب الأرناؤوط بقوله: صحيح وهذا إسناد قوي.

(٣) ينظر: الأخلاق أهميتها وفوائدها، مقال د. عبدالسلام حمود غالب منشور على شبكة الألوكة.

(٤) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب رحمة الصبيان (١٩١٩)، ومسند أحمد ٢/ ٢٠٧(٦٩٣٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح سنداً ومتناً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٩).

- **رابعاً: الخُلُق عبادةٌ يؤجر عليها المسلم، ومجالٌ للتنافس بين العباد:**

فقد جعله النبيُّ ﷺ أساسَ الخيريَّة والتفاضل يوم القيامة، فقال: **(إن أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم مني في الآخرة مجلساً، أحاسنُكم أخلاقاً، وإن أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني في الآخرة أسوَؤُكم أخلاقاً، الثَّرثارون[١] المُتفَيْهِقون[٢] المُتشدِّقون[٣])**[٤].

وقال رسول الله ﷺ: **(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم)**[٥].

ولذا يقول العلماء: «اعلم أن الدّين كله خلقٌ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين»[٦].

وجعَل الله أجره ثقيلاً في الميزان، بل لا شيء أثقلُ منه وجعَل كذلك أجرَه كأجرِ العبادات، مِن صيام وقيام، فقال ﷺ: **(ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)**[٧].

(١) **الثرثارون**: هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق، والثرثرة: كثرة الكلام ينظر: النهاية ١/ ٢٠٩.

(٢) **المتفيهقون**: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، ينظر: النهاية ٣/ ٤٨٢.

(٣) **المتشدقون**: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: المستهزئ بالناس ينظر: النهاية ٢/ ٤٥٢.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٢٦٧ (١٧٧٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، والترمذي في الجامع كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٢٠١٨) وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) مسند أحمد ١٦/ ١١٤ (١٠١٠٦)، والترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داوود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٤٦٨٢).

(٦) بصائر ذوي التمييز للفيروزبادي ٢/ ٥٦٨، وهذا في مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٩٤.

(٧) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٣) واللفظ له، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق رقم (٤٧٩٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢ أخرجه الترمذي والبزار ورجاله ثقات، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٥٣٥ وسنده جيد.

بل بلَغ من تعظيم الشارع لحُسن الخُلق أنْ جعَله وسيلة من وسائل دخول الجنة؛ فقد سُئل ﷺ عن أكثرِ ما يُدخِل الناسَ الجنَّةَ؟ فقال: (تقوى اللهِ وحُسن الخُلق)[١].

وضمِن لصاحب الخُلق دخولَ الجنة، بل أعلى درجاتها، فقال: (أنا زعيمٌ ببيت في ربَضِ[٢] لِمَن ترَك المِراءَ وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسَط الجنة لِمَن ترَك الكذبَ وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنَّة لمن حسُن خلُقه)[٣].

• **خامساً: حسن الخلق من أسبابِ المودة، وإنهاء العداوة:**

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال ﷺ: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)[٤].

والواقع يشهد بذلك، فكم من عداوةٍ انتهت لحُسن الخُلق «فالواجب على العاقل أن يتحبَّب إلى الناس بلزوم حُسن الخُلق، وتَرْكِ سوء الخُلق؛ لأن الخُلق الحسَن يُذيب الخطايا كما تذيب الشمسُ الجليد، وإن الخُلق السيِّئ لَيُفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسلَ»[٥].

وباختصار فإن حسن الخلق مفتاح الدعوة إلى الله، ورسالة الداعية هي حسن الخلق فمن خلاله تظهر الصورة الحقيقية للإسلام، وتصحح الصورة السلبية عن

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق رقم (٢٠٠٤) قال الترمذي: صحيح غريب.

(٢) ربض الجنة: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن، ينظر: النهاية ٢/ ١٨٥.

(٣) سنن أبي داوود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (٤٨٠٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٥٥٢ (٢٧٣).

(٤) مسند البزار ١٥/ ١٧٧ (٨٥٤٤)، قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار، ورجاله ثقات. ينظر: تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٥٧٧.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٢.

الإسلام والمسلمين، وتجعل من حوله ينظرون إليه على أنه أنموذج مثالي يمكن أن يتأثروا به ويتخلقوا بأخلاقه.

- **سادساً: حسن الخلق من أسباب نجاح الدعوة:**

فقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والصحابة لم ينفضوا عن رسول الله ﷺ بل كانوا معه ثابتين معاونين له في دعوته.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. فدفع السيئة بالحسنة من أعظم الأخلاق التي تقرب العلاقات بين الناس عامة وبين الداعية والناس خاصة.

وإذا رزق الداعية حسن الخلق حصل له التوفيق والقبول، وعمّ نفعه وأثرت دعوته، وبه ينال المنزلة العالية عند الله في الدار الآخرة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً»[(١)].

فحسن الخلق أساس النبوغ في العلم والدعوة، فعلى الداعية أن يكون طاهر النفس عن رذائل الأخلاق، ولو حصّل سيئ الأخلاق العلم، فإنه لن ينتفع به ولن ينفع به، فكأنه لم يحصله.

فعلى الداعية أن يلتزم حسن الخلق مع المدعوين عامةً -المسلمين وغير المسلمين-، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٣]، أي: «يعاشرون الناس بحسن الخلق فإن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء ليحوزوا على البقاء بعد الفناء -أي في الجنة- أو العاقبة الحميدة»[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٦.
(٢) روح المعاني ١٣/ ١٧٧ باختصار يسير.

المبحث الثالث
جوامع الأخلاق التي تُؤهل الدعاة[(١)]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء؛ وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى؛ الذي هو: شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، وهو حقيقة الشجاعة، وهي: ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإسراف والبخل. وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة»[(٢)].

---

(١) لا يمكن هنا استيعاب الأخلاق ولكن سأشير إلى جماعها إجمالا من خلال كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.. وغيره ويمكن في تفصيلها الرجوع إلى كتاب نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين فهو كتاب جامع وقيم، وكتاب الأخلاق الإسلامية لعبدالرحمن حبنكة الميداني، وموسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، مطبوع ومنشور على موقع الدرر السنية على الإنترنت.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٩٤.

ويقول ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحاديث الأخلاق تجتمع في أربعة أحاديث:

الأول: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ)**[١].

الثاني: **(مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)**[٢].

الثالث: **(لَا تَغْضَبْ)**[٣].

الرابع: **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**[٤]»[٥].

فهذه الأحاديث الأربعة -وكلها من أحاديث الأربعين للإمام النووي- جمعت الأخلاق والآداب، فمن وُفِّق لفهم هذه الأحاديث وتطبيقها فإنه يكون قد اجتمعت فيه أركان الأخلاق وأعمدته وهي الصمت، وترك مالا يعني، وترك الغضب، ومحبة الخير للآخرين.

وبعد التأمل -وبالإضافة إلى ما سبق- نجد أن من أهم الصفات وأجمعها، ولها تأثير كبير في الدعوة، ثلاثة صفات وهي **الصدق، والأمانة، والرحمة**.

فالصدق والأمانة: هما أول الأخلاق التي عُرف بها النبي ﷺ حتى اشتهر بها قبل البعثة وبعدها، ولُقِّبَ بالصادق الأمين، وهذا هو ما يميز صاحب الرسالة عن غيره، والفرق بين صاحب الدعوة ومدَّعيها، هي هذه الشهادة من الناس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١٧٣).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، والترمذي كتاب الزهد، باب١١ (٢٣١٧) وقال: حديث غريب، وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٦٦(٢٢٩) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٠٢٧ (٥٩١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان برقم (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه رقم (٤٥).

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٢٨٨.

فالصدق والأمانة هما البنية التحتية للتعريف بهذا الدين، فلا يمكن لداعيةٍ أن يفقد تلك الصفتين، لأن الداعية عندما يتحرك في طريق الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون أول صفاته هاتين

أما الرحمة فهي صفة هذه الرسالة كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فلا بد لمن يدعو إلى الله أن يكون رحيماً بالناس، ليستطيع أن يحمل تلك الرحمة للناس.

وبهذه الأخلاق وتوابعها يُؤهَّل الداعية، وينبغي أن تُغرس في قلبه وسلوكه، ويُذَكَّر بها دائماً، فهي أهم الدعائم والمقومات للنجاح وبالأخص من يعمل في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع
تعريف بنماذج لأهم أخلاق الدعاة

سنعرض بنوع من البسط بعض الأخلاق الأساسية للدعاة:

الخلق الأول: الصبر.

الخلق الثاني: الرحمة.

الخلق الثالث: الصدق.

الخلق الرابع: الأمانة.

الخلق الخامس: الرفق.

الخلق السادس: الحلم.

الخلق السابع: الشجاعة.

الخلق الثامن: العفة.

الخلق الأول

الصبر

حقيقة الصبر: خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[١]، وهذه القوة تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام[٢].

فإن القيام على الإيمان والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الداعية، فلا بد من الصبر على النفس والغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على الباطل والشر، والصبر على طول طريق الدعوة، والصبر على جهل المدعوين، والصبر على العمل والأخذ بالأسباب وعدم استعجال النتائج.

والقيادة في الدنيا والدين لا تنال إلا بالصبر واليقين بالله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة ٢٤].

والعاقبة للمتقين الصابرين، **قال تعالى:** ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود ٤٩].

وهي وصية الله للمرسلين، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

ووصية الله للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

---

(١) ينظر: عدة الصابرين لابن القيم ص٢٩.

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية للميداني ٢/ ٣٠٥.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران ٢٠٠].

قال ابن كثير: «أُمِروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم؛ وهو الإسلام، فلا يَدَعوه لسرّاء ولا لضرّاءَ ولا لشِدَّة ولا لرِخَاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم»(١).

فالصبر هو زاد الداعية في طريق دعوته إلى الله، فهو طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والابتلاء.. لا تصوره حقيقة الكلمات، إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشق طريق الدعوة.

«فالدعوة إلى الله سبيلها طويل تحف به المتاعب والآلام؛ لأن الدعاة إلى الله يطلبون من الناس أن يتركوا أهواءهم وشهواتهم التي لا يرضاها الله ﷻ، وينقادوا لأوامر الله، ويقفوا عند حدوده، ويعملوا بشرائعه التي شرع، فيتخذ أعداء الدعوة من هذه الدعوة عدوًّا يحاربونه بكل سلاح، وأمام هذه القوة لا يجد الدعاة مفرّاً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.

والصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق، فيدخل فيه **الحلم**: فإنه صبر عن دواعي الانتقام عند الغضب، **والأناة**: صبر عن إجابة دواعي العجلة، **والعفو والصفح**: صبر عن إجابة دواعي الانتقام، **والجود والكرم**: صبر عن إجابة دواعي الإمساك، **والكَيَس**: صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول، **والعدل**: صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين، **وسعة الصدر**: صبر عن الضجر، **والكتمان وحفظ السر**: صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره، **والشجاعة**: صبر عن إجابة دواعي الفرار، وهذا يدل على أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الداعية لا يسعه أن يستغني عنه في جميع أحواله»(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٩٥.

(٢) مقومات الداعية الناجح د. سعيد القحطاني ص ١٨٢.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ ﴾ [العنكبوت ٦٩] «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين جاهدوا فيه، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾»[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعجب الأشياء مجاهدة النفس، لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة.. فالحازم من تَعْلَم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه»[٢].

ويدخل في الصبر: مجاهدة النفس، وهي تشمل: مجاهدة النفس على الاجتهاد في الدعوة، ومجاهدة النفس في التزام شعائر الله والاعتزاز بها، ومجاهدة النفس في عدم الوقوع في الشهوات وما تهواه وتحبه؛ من الراحة والمعصية، خصوصاً في هذا الواقع المعاصر الذي يعج بالشهوات والملهيات.

وكذلك مجاهدة النفس بمقاومة الشبهات التي تطرأ على العقل والقلب، وطردها وإزالتها، خصوصا في هذا الزمن الذي تكاثرت فيه العقائد والأفكار المنحرفة.

وكذلك مجاهدة النفس على تبليغ دين الله تعالى، والإحسان والإتقان في ذلك، ليكون صورة مشرقة متميزة تُعْرَضُ للمسلم.

فإذا حقق الداعية هذه المرتبة من المجاهدة فسيعينه ذلك على النجاح في إيصال الحق للناس على يديه بإذن الله.

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٢٤٨.

(٢) صيد الخاطر ص ٩١.

الخلق الثاني

الرحمة

الرحمة هي خُلُقُ هذا الدين، فلكل دين خلق، وخلق الإسلام الرحمة، وقد كتبها الله على نفسه، وتَسمى سبحانه بها، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

فلا بد أن تنطلق أعمال الداعية من شعور غامر بالرحمة والشفقة على عباد الله تعالى، فالرحمة هي رسالة هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قال ابن بطال: «فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخَلْقِ؛ فيدخل المؤمن والكافر والبهائم؛ المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدَّي بالضرب»[1].

وقد قال الله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وامتن الله على هذه الأمة بنبي الرحمة ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذا رسول الله ﷺ من رحمته وشفقته على المدعوين يقول الله له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

والرحمة صفة مطلوبة في كل مؤمن وهي للدعاة ضرورة دعوية فضلاً عن

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢١٩.

أنها واجب شرعي، ولذلك صح عن النبي ﷺ أنه قال: **(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)**[١]، وقال: **(الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)**[٢].

ويصف رسول الله ﷺ نفسه ورحمته بقوله: **(إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه)**[٣].

وعن قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه)**[٤].

إن الرحمة مظهر من مظاهر سماحة الأخلاق في الإسلام، يقول أبو البقاء الكفوي: ولذا فإن «الرحمة: حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدءاً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان»[٥].

فلابد أن يكون الداعية رحيماً بالمدعوين؛ لأن حرصه عليهم ورأفته بهم ستكون سر إصراره في دعوته، واستمراره فيها، وتذكره أن هؤلاء عرضة لأن يكبهم الله على وجوههم في النار، فهو يرحمهم، ويسعى للحيلولة بينهم وبين ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **(يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)** إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ(١٢٨٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت(٩٢٣).

(٢) مسند أحمد١١/ ٣٣ (٦٤٩٤)، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وسنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤٣)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته على أمته (٢٢٨٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تخيف الصلاة لبكاء الصبي (٧٠٧).

(٥) الكليات ١/ ٧٤٢.

والرحمة تقتضي من الداعية ألا يخاطب الناس من منطلق الترفع والتعالي، بل يخاطبهم من واقع الحرص عليهم؛ لينجيهم من عذاب الله.

«والرحمة صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، وكف العسف والظلم، ومنع التعدي والبغي، وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بها حتى تمتلئ قلوبهم خيراً وبراً، وتفيض على الدنيا رجاء وأملاً، إن طبيعة الإسلام سهلة سمحة رحيمة، وهو يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة؛ حتى ينعم الناس في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته»(١).

الخلق الثالث

الصدق

الصدق علامة الإيمان، كما أن الكذب علامة النفاق. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة ١١٩]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)**(٢).

(١) مقال بعنوان: الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، د. حمزة بن سليمان الطيار، وعزاه للشيخ سيد سابق ولم أقف عليه. ينظر موقع مجلة أخبار الثقافة الجزائرية ابريل ٢٠١١م.

(٢) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٦٠) (٢٠١٨) وقال الترمذي حسن صحيح.

وقال ﷺ: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١].

وحقيقة الصدق أوسع من كونها الصدق في الحديث فقط، وإنما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزيمة، وصدق اللسان، وصدق الأعمال، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والله تعالى يختبر خلقه ليظهر منهم الصدق: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وصفة الصدق من صفات المسلم حتى يكون داعية، بكل ما تحمله هذه الصفة من معانٍ ودلالات، فهذا رسول الله شهد له قومه بالصدق، وأشهد قومه على ذلك يوم أَعْلَنَ في الدعوة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: (يا بني فهر يا بني عدي..) لبطون قريش حتى اجتمعوا،.. فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير[٢] عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: (فإني

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٦٨٠٥).

(٢) تُغير: الإغارة: إقدام على أخذ مال قهراً أو حربا، ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٤٠١.

نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(١).

وفي رواية: «أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط»(٢).

فالنبي ﷺ أُرسل من أجل الدعوة، وأول خطوة من خطوات الدعوة أن يثق الناس في صدق الداعي، فسأل النبي ﷺ قومه ليقروا بصدقه ويطمئنوا إليه، ويقيم عليهم الحجة.

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ للنجاشي ويقول: «حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه **وصدقه**، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه»(٣).

وجاء في قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل أن هرقل سأل أبا سفيان عن الرسول: «قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فقال أبو سفيان: لا»(٤).

ومن هنا تبرز أهمية الصدق في حياة الدعاة فلا بد:

أولاً: أن يصدق الداعية مع الله بالإخلاص له بأن تكون الدعوة والجهاد لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته، فلا تكون لأجل مال أو منصب أو جاه أو كسب شهرة أو تعصب لشيخ أو حزب أو طائفة، فقد ورد أن أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير حينما أقبل عليهما أسيد بن حضير قال: «هذا سيد قومه، وقد جاءك **فاصدق الله فيه**»(٥).

وثانياً: على الداعية أن يبادر إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله، وأن يجاهد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤](٤٧٧٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٠٠ ولم أقف على الحكم عليها.

(٣) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردته مختصراً.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (٧)، ومسلم، كتاب المغازي (الجهاد والسير)، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٦.

نفسه على الوفاء بواجبه تجاه دينه، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

«فصدق العهد يكون عند ذوي الهمم العلية، والأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم له ومحافظتهم على الوفاء به»(١).

ومن الصدق في الدعوة أن يحذر الداعية من الكذب على الناس عامة، وعلى إخوانه المسلمين والدعاة المصلحين، ومن شر ذلك: إشاعة الأخبار قبل التحقق من صحتها، واستخدام الأساليب الملتوية والمراوغات، بحجة السياسة والمصلحة!!

الخلق الرابع

الأمانة

أمر الله تعالى بخلق الأمانة سواء كانت مع الله أو مع الخلق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، ومدح الله تعالى المؤمنين المفلحين بمراعاتها بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

ونهى الله تعالى عن خيانة الأمانة فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن

(١) نظم الدرر للبقاعي ٦/ ٩٣.